Original Article مقالة أصيلة

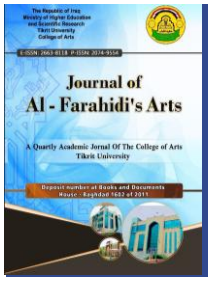

Tikrit University | جامعة تكريت
مجلة آداب الفراهيدي
Journal of Al-Farahidi's Arts

تمـــثلاتُ القيـــَمِ الاجتماعيـــةِ فـــي ديـــوانِ (أراجـــيحُ تُغنّـــي للأطفـــالِ) للشاعرِ سليمانِ العيسَى

Representations of Social Values in The Collection (Swings Singing for Children) By The Poet Suleiman Al-Essa

أ. م. د. علي هادي حسن
قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية،
جامعة كركوك
كركوك، العراق

Asst. Prof. Dr. Ali Hadi Hassan
Department of Arabic Language, College of Education for Humanities, University of Kirkuk
Kirkuk, Iraq

SUBMISSION التقديم	ACCEPTED القبول	E-PUBLISHED النشر الإلكتروني
09/03/2025	10/04/2025	13/05/2025

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 2663-8118 https://doi.org/10.25130/jaa.17.61.2 Vol (17) No (61) May (2025) P (20-38)

الملخص

يُعَدُّ أدبُ الطفل أحد المجالات الأساسية في الدراسات الأدبية الحديثة؛ لما له من دورٍ محوريّ في بناءِ وعي الطفل وصياغة وجدانه وقيمه الاجتماعية. يتناول هذا البحث تمثلاتِ القيم الاجتماعية في ديوان أراجيح تغنّي للأطفال للشاعر السوري سليمان العيسى، مرتكزًا على أهمية القيمة في تشكيل الأنساق الثقافية والأخلاقية للأطفال، وتاريخ أدب الطفل بوصفه فضاءً تربويًا وثقافيًا. استند البحث إلى خمسةِ محاورَ أساسيةٍ تناولتْ أبرزَ القيم الاجتماعية التي عكستها النصوص الشعرية في الديوان. تمثلت المحاور في استقراء قيم الحرية التي تُمارَس في حدود احترام حقوق الآخرين، وقيم الانتماء والهوية التي تعزز وعي الطفل بمحيطه الاجتماعي والثقافي. كما تناول البحث قيم الاحترام والاعتذار بوصفها ركيزة لبناء العلاقات الإنسانية، والدعوة إلى تصحيح الأفكار كأسلوبٍ لتحريرِ عقلِ الطفلِ من التحيزات والتصورات الخاطئة. وأخيرًا، استعرض البحث دور النصوص الشعرية في استثمار الخيال الطفولي عبر استحضار عوالمِ الجنّ بطريقة تهدف إلى إثراء الخيال وتحفيز الإبداع وتوليف الجن وكسر حاجز الخوف منه، تظهر أهمية هذا الأدب في كونه وسيلة لتربية الطفل وتشكيل وعيه الاجتماعي من خلال نصوص شعرية تُزاوج بين البساطة والعمق، محققة بذلك رسالتها التعليمية والتربوية. يمثل ديوان العيسى أنموذجًا متفردًا في ترسيخ القيم من خلال شعر موجه يُراعي حاجات الطفل النفسية والمعرفية.

الكلمات المفتاحية

سليمانِ العيسَى، القيمِ الاجتماعيةِ، أراجيحُ الأطفالِ، قيم الحرية، الهوية، قيم الاحترام، تصحيح الأفكار، الشجاعة الروحية

ABSTRACT

Children's literature is one of the fundamental fields of modern literary studies, given its pivotal role in building children's awareness and shaping their conscience and social values. This research examines the representations of social values in the collection "Swings Singing for Children" by the Syrian poet Suleiman Al-Essa, focusing on the importance of values in shaping children's cultural and moral patterns, and the history of children's literature as an educational and cultural space. The research is based on five main axes that address the most prominent social values reflected in the poetry texts in the collection. The axes were represented by an extrapolation of the values of freedom, which are practiced within the limits of respect for the rights of others, and the values of belonging and identity, which enhance children's awareness of their social and cultural environment. The research also addresses the values of respect and apology as a pillar for building human relationships, and calls for correcting ideas as a method for liberating children's minds from biases and misconceptions. Finally, the research reviewed the role of poetic texts in investing in children's imagination by evoking the worlds of jinn in a way that aims to enrich imagination, stimulate creativity, synthesize jinn, and break the barrier of fear of them. The importance of this literature appears in its role as a means of raising children and shaping their social awareness through poetic texts that combine simplicity and depth, thus achieving their educational and pedagogical message. Al-Essa's collection represents a unique model in consolidating values through directed poetry that takes into account the child's psychological and cognitive needs.

KEYWORDS

Sulaiman Al-Essa, Social Values, Children's Swings, Values of Freedom, Identity, Values of Respect, Correcting Ideas, Spiritual Courage

Copyright and License: This is an Open-Access Article distributed under A Creative Commons Attribution 4.0 License, which allows free use, distribution, and reproduction in any medium provided the original work is properly cited.

توطئة:

قبل الخوض في استقراء تمثلاتِ القيم الاجتماعية في ديوان (**أراجيحُ تغنّي للأطفال**) يستوجب علينا تقديم ومضـــات إضـــاءة عن تشـــكيلات العنوان، لنســـهل على القارئ فهم ما ترمي إليه هذه الورقة النقدية، فالتمثل: تعني "تمثل بالشيء ضربه مثلا، ومثّل له الشيء: صوّره حتى كأنه ينظر إليه. وامتثاله هو: تصوره" (ابن منظور، ١٩٩٩، صفحة مادة م ث ل) هو تجسيد صورة الشيء فـــي الذهن، أو إدراك المضمون المشخّص لكل فعل ذهني أو تصوّر المثال الذي ينوب عن الشيء ويقوم مقامه"(صليبا، ١٩٨٢، صفحة ٣٤٢)ومثول الشيء هو بمعنى حضور هيأته وصورته فـــي الذهن بأشكال مختلفة فـــي عالم الوعي أو حلول بعضها محل بعضها الآخر" (مدكور، ١٩٨٣، صفحة ٥٤) و تعني مثول الصور الذهنية بأشكالها المختلفة فـــي عالم الوعى أو حلول بعضها محل بعضـــها الآخر ونظرية الأفكار التمثيلية نظرية قال بها الديكارتيون، وتذهب إلى أن الذهنَ لا يعرف الأمور المحســـوســـة مباشـــرة، وإنما يعرفها عن طريق الأفكار التي تمثلها، فهي تقوم مقامها وتجعلها ماثلة أمام الذهن" (مدكور، ١٩٨٣، الصفحات ٥٤-٥٥)

اما مفهوم القيمة صـــفة يخلعها العقل على الأقوال والأفعال والأشـــياء، طبقا للظروف والملابســـات وبالتالي تختلف باختلاف من يصدر الحكم، والقيمة بهذا المعنى "تعنى الاهتمام لشيء أو استحسانه أو الميل إليه والرغبة فيه، ونحو هذا ممَّا يوحي بأن القيمة ذاتُ طابعٍ شخصـيٍّ ذاتيٍّ خالٍ من الموضـوعية، وتكون وسـيلة إلى تحقيق غاية". (مدكور، ١٩٨٣، صـفحة ١٥١)وأنها خصـوصـية موضـوعات ترتبط بسـلوك تفضـيلي. وتظهر (القيمة)، فـــي ارتباط بالموضوع والفاعل، وهي فردية أو جماعية، وهي الضرورية للعمل السردي فـــي : الإرادة / العلم / السـلطة. (علوش، ١٩٨٦، صـفحة ١٨٤)فالقيـــم كُل ما يتمسـك به فرد أو فئة اجتماعية من ذلك أن الحرية هي من القيـــم الديموقراطية. وبهذا تدل اللفظة على معنى نسـي حسـب الأشـخاص والجماعات، حاول الفلاسفة تبرير وجود القيم بمحاكمة عقلية، كما حاولوا ترتيبها انطلاقًا من مثل أعلى، منشئين بذلك ما يدعونه : تراتب القيم، أو ما سـماه نيتشـه جدول القيم. وحسـب هذا المفهوم تطلق لفظة القيمة على كل ما يقترب من النموذج المثالي للخير فـــي كل مذهب يبلغ من المذاهب الفلسـفية النفعية. مثال ذلك: إن اللذة هي القيمة العليا في مذهب المتعبة، والمنفعة" (عبد النور ، ١٩٧٩، صفحة ٢١٧)

وبما أن الدراسة تتمحور حول ترسيخ وبيان تمثلات القيـــم الاجتماعية فـــي ديوان شعري ضمن أدب الأطـــفـــال , فعلنا أن نقدم عرضا مُيسَّرًا لهذا الغرض، فهو "أدب صعب الكتابة سهل الاستيعاب حاله حال الكتابة للقصـــائد التي تكتب لتغنى؛ فالشـــاعر يبذلُ جهدًا كبيرًا لتكوين نص يفهم من دون قراءة وتمعن، "يفهم من خلال الاســتماع بصــورة مباشــرة ولا ننســى بأنَّ الغناء للأطفال يبدأ في مرحلة المهد، كانت موجودة في عمق التاريخ حيث الأمهات اللواتي يغنّينَ للأطفال قصائدَ موزونةً لبث الطمأنينة في نفوسهم" (حامد، ٢٠٢١، صفحة ٧٠٤) فتكون عملية تلقي النص سهلة، لكن الكتابة التكونية لهذا النص من قبل الشاعر تحتاج إلى فكر وجهد كبيرين، ومســاحةٍ ثقافيةٍ واســعةٍ؛ فهو "إبداع مؤســس على خلق فني، ويعتمد بنيانه اللغوي على ألفاظ ســهلة ميسرة فصيحة، تتفق والقاموس اللغوي للطفل، بالإضافة إلى خيال شفاف غير مركب ومضمون هادف متنوع، وتوظيف كل تلك العناصـــر، بحيث تقف أســـاليب مخاطبتها وتوجهاتها لخدمة عقلية الطفل وإدراكه، كي يفهم الطفل النـــص الأدبي، ويحبه ويتذوقه؛ ومن ثم يكتشـف بمخيلته آفاقه ونتائجه" (زلط، ١٩٩٧، صـفحة ٢٥)، فهو أدب متعدد الجوانب، ومتغير الأبعاد، طبقاً لاعتبارات كثيرة، مثل: "نوع الأدب نفســه، والســن الموجه إليها هذا الأدب، وغير ذلك من الاعتبارات، فأدب الأطـــفـــال لا يعنى مجرد القصـة، أو الحكاية النثرية أو الشـعرية مغناة، وإنما يشـمل المعارف الإنسـانية كلها، إن كل ما يكتب للأطفال، سـواء أكان قصـصـاً، أم مادة علمية، أم تمثيليات أم معارف علمية أم أسئلة أم استفسارات، فـي كتب أم مجلات أم فـي برامج إذاعية أم تليفزيونية أم كاسيت أم غيره، كلها مواد تشكل أدب الأطفال ." (عبد الفتاح، ٢٠٠٠، صفحة ١٨) فهو يعنى الكلام الجيد الذي يشكل فـي نفوس هؤلاء الأطـفـال متعة فنية وقيمة اجتماعية وموجة تربوية، سواء أكان شعراً، أم نثراً، وسواء أكان شفويًّا بالكلام، أم تحريريًّا بالكتابة، ولذلك ... فالكتب-المدرسية تدخل ضمن أدب الأطـفـال بمعناه العام،

حيث إنها إنتاج عقلي مدوَّنٌ فـي كتب موجهة للأطفال، فلا بُـــدَّ للكتب المدرسية الناجحة أن تراعيَ خصائص الأطـفـــال وقدراتِهم واهتماماتِهم فيما تقدمه لهم من موادَّ دراسيةٍ منهجيةٍ" (نجيب ، ١٩٩١، الصفحات ٢٧٩-٢٨٠)"ومن خلال ما سبق نستشف أن أدب الأطفال لا يقتصر على الشعر والنثر المتمثل في (قصص الأطفال) وإنما يتعدى إلى كل المجالات التي تخدم هذه الشـريحة فـــي المجتمع، إذن هو مجال واسـع ومتفتح على جميع الجوانب الإنسانية من أدب ورسم وتمثيل، فأدب الأطـفـــال بمفهومه الواسع هو نوع من الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة.

وإذا ما أردنا الرجوع إلى تاريخ وبداية نشـــوء هذا النوع الشـــعري وهل كان نشـــوؤه نشـــوءًا عربيًّا أم مُسـتحدثًا من الغرب، شـأنه شـأن الكثير من المصـطلحات والأغراض الأدبية، بادئين بمصـطلح (أدب الطفل) فسنرى أنه "يثير الكثير من التساؤلات ... ولم لا؟ فمصطلح أدب الأطـفـال ذو دلالة مستحدثة، حيث لم يتبلور فـي أدبنا العربي الحديث إلا فـي العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين على الرغم من الإرهاصات الأولى لهذا اللون الأدبي التي تعود إلى بداية القرن الحالي، إذ إن أدب الأطـفـال - فن متميز- لم يجد طريقه إلى الأدب العربي قبل أحمد شـوقي فـــي الشـعر العربي، وقبل (كامل الكيلاني فـــي القصة، ثم ظهور مجلات الطفل المتخصصة، وتخصص بعض الأدباء في الكتابة للطفل؛ إذن فمصطلح أدب الأطـفـال - كتخصص، وكـــفن أدبى- مصطلح حديث النشأة، وحديث الانتشـار، لأنه بدأ تقريباً مع نهاية الحرب العالمية الثانية، لينتشـر أكثر مع صـدور إعلان حقوق الطفل عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ..." (عبد الفتاح، ٢٠٠٠، الصـــفحات ٢١-٢٢) فهو مجموعة الاعتبارات الاجتماعية والتربوية والسيكولوجية أول ما يجب أن يدخل فـــي الاعتبار أن الكتابة للأطفال نوع من التربية العلمية والاجتماعية، على جانب كبير من الفعالية والتأثير، وأن كاتب الأطـفـال هو "مربى بالدرجة الأولى وأن الاعتبارات السـوسـيولوجية والتربوية يجب أن تحتل مكان الصـدارة فـــي أي عملية موازنة بين الاعتبارات، ولا يجب أن تصـل الكتابة للأطفال إلى أهدافها الفنية على حسـاب الاعتبارات الاجتماعية والتربوية و النفسـية، ومن المهم ألَّا ننظر إلى هـذه الاعتبـارات على أنهـا عوامل معوقـة تحـد من انطلاق الكـاتب، لأن العلم بهـا يمثل القاعدة الأســاســية الأولى، التي لا غنى عنها لتشـــيد صـــرح أدب أطفال ناجح وســـليم" (عبد الفتاح، ٢٠٠٠، الصفحات ٢٨-٢٩)

وهكذا نرى أن المصـطلح ظهر بشـكل نقدي متكامل فـــي العصـر الحديث. إلا أننا لا نعدم أن هناك إشـــاراتٍ فـــي التاريخ الأدبي تدلُّ على أن الطفل حظيَ باهتمام المجتمع الأدبي قديماً؛ فكان هناك القصـــص والخرافات التي تعمل على تنمية الجانب الخيالي لدى الطفل، فقد "كانت النواة لأدب الطفل فـــي التاريخ عند الإنسـان الأول عبارة عن قصـص المغامرات والصـعوبات التي كانت تعترضه لقساوة الطبيعة من برد وحر وجبال وأنهار ثم الصعوبات التي كان يواجهها من الحيوانات التي يستفيد منها، ثم تطور أدب الأطـفـال أو أدب الطفل لكي يتحدث فيه الأب لأطفاله عن المزروعات التي كان يســتفيد منها، ثم بدأ يحدثهم عن طبيعة المنطقة التي يعيش فيها حتى يعرِّفَ أبناءَهُ عليها." (ابو المعال ، ١٩٨٨، صـــفحة ٢٨) وعليه نجد أن هذا اللون الشـــعري أو الغرض قديمًاعند العرب يتجسـد في (قصـص عن الشـجاعة، الفروسـية، الحروب. طبيعة الحياة القاسـية فـــي الصحراء العربية فـــي العصر الجاهلي كانت سـبباً فـــي ظهور القصـص والأسـاطير والخرافات والمغامرات وعند مجيء الدين الإسـلامي أخذ أدب الطفل يأخذ لوناً جديدًا يركز على قصـص الأمم التي أوردها القرآن الكريم ثم ما يتطلبه مقتضيات الدين الجديد." (ابو المعال ، ١٩٨٨، صفحة ٢٨)

إن ما تجلَّى فـــي ديوان (**أراجيح تغنى للأطفال**) **للشاعر سليمان العيسى** ، من خصائص فنية يجسد صـورة الأدب الخاص بالطفل فهو شـعر مختلف عن الشـعر التقليدي فالشـعر الخاص بالطفل يسـعى الشـاعر لأن يتوافق مع المرحلة العمرية لدى الطفل، إذ يراعي المسـتوى المعرفي والثقافي فيقدم"النغم الموسـيقي، والصـور الكاريكاتورية، والتراكيب اللغوية، والبناء الدلالي، للمقطوعة الفنية بصورة سلسـة قابلة للاسـتيعاب .. فالشـاعر يستطيع من خلال هذه التقنية أن يوصل الكثير من القيـم الاجتماعية ويحقق العديد من مظاهر النشاط فـي عقلية ونفسية الطفل ، فالشعر الذي يكتب للأطفال يجعل منهم "أكثر وعياً بوجود طاقاتهم الخيالية، وعوالمهم

الوجدانية ... وما سنراه في هذه الورقة النقدية بأن الشاعر يحاول أن يؤسس بوسائله الإيحائية صورة للإنسان الحياة ومجموعهما بالقيم الاجتماعية، محاورًا الأفكار والمشاعر ضمن سمة إيقاعية خاصة بذائقة الأطفال في مختلف مراحل حياتهم، وكما معلوم إن "للموسيقى قدراتٍ واضحةً- وإن كان كثيرٌ من أسبابها غيرَ واضح- على اجتذاب النفوس، والتأثير في الأحاسيس، وتشكيل المزاج النفسي .. فتستطيع الموسيقى أن تغرس التفاؤل، وأن تثير البهجة، وأن تبعث على المرح .. (الداود، ١٩٩٣، صفحة ٩٠)

وهذا ما دفعنا لاستقراء هذا الديوان(أراجيحُ تغنى للأطفال) واستنطاق ما فيه من مميزات فنية مدعومة لصالح تأصيل القيم الاجتماعية وغرسها في نفوس الأطفال من خلال هذا الأسلوب، فضلاً عن قاموس الطفل اللغوي الذي يرافقه قاموس آخر للطفل وهو القاموس الإدراكي "وهذا الأخير يعني قدرة الأطفال على فهم كلمات وتعابير أخرى من خارج قاموسهم اللغوي الذي يتحدثون به؛ ولكن هذا لا يبرر لنا الخروج على المدى الذي يرسم قدرات الأطفال على الفهم، وأخيرًا لا بد من توفر الخفة في أسلوب أدب الأطفال .. بحيث نستطيع القول: إن كل فقرة منه لا بد أن تحمل: فكرة، وابتسامة" (الهيتي ، ١٩٧٧، صفحة ١٠٢) وسنحاول استقراء الأنظمة الاجتماعية المبثوثة في صلب القصائد على وفق محاورَ متعددةٍ منها:

أولاً: تمثلات قيم الحرية وعدم التمرد:

إن محاولة ترسيخ قيم الحرية في نفوس الأطفال هو أمر بالغ الأهمية والصعوبة، فهو يمثل حجر الأساس لبناء شخصية واعية قادرة على تحمل المسؤولية؛ مع الحرص على أن تكون هذه الحرية مسؤولة، مرتبطة بحدود واضحة تحمي الطفل من الانحراف؛ فالشاعر من خلال تصوير رمزي يجسد لنا قيمة التحرر في فسحة الطبيعة المفتوحة محاولا تعزيز صورة الحرية التي لا تمس حرية الآخرين فهو يقول:

"يا نسمة الجبال يا نَقِيَّةً!
يا نسمة الجبالْ
إنَّا عَشِقْنَا الشمس والحُرِّيَّةْ
في هذه التلالِ
من صَخْرَةٍ لصخرة ندورْ
ويضْحَكُ الغمامْ
يَرُشُنَا بِالْأَخْضَرِ المَسْحُورْ
فَعَيْشُنَا أَحْلامُ" (العيسى ، ٢٠٠٩، صفحة ٢٦)

النص الشعري محملٌ بتمثيلاتٍ اجتماعيَّةٍ وتربويَّةٍ يطلقها الشاعرُ عبر رموزٍ(حيوية) لأنها أقرب إلى فكر الطفل، معبرًا عن تجربةِ القطيعِ الجبلي من الماعزِ الذي يعيشُ حريةً منظمة على سفوحِ الجبال الشاهقة، معبّرًا عن انتمائها وعشقها للطبيعةِ من خلال أنشودةٍ يرسم من خلالها ملامح الحريةِ ومحاولة العيشِ بجوارِ الشمسِ. يأتي هذا النص مطرزا بأيقونات ودلالاتٍ رمزية ترتبط بقيمٍ اجتماعيَّةٍ تُعزّز من شخصيَّةِ الطفلِ وتساهم في ترسيخ ورصف رؤيتهِ الوجودية التي يحيا من أجلها، وتكثف فيه جملةٌ من القيم التربويَّةِ التي تتناسب مع المبادئ والقيم الإسلامية العربية. فالحريةُ لها مفهومٌ خاصٌ؛ لأنها من المفاهيمِ الزئبقية التي يصيبها الكثيرُ من التحريفِ والتزييف والإطلاق والتجاوز على حريات وحقوق الآخرين، فالنص هنا يبحث عن خلق صورة ذهنية لدى الطفل لمفهومِ الحريةِ بشكلٍ يتلاءم مع معطياتِ التربيةِ الحديثةِ والقيم الاجتماعيَّةِ التي أصبحت الحريةُ شاغلُها الأكثر حضوراً على صفحات التربية المعاصرة، فإن من جملة المفاهيم الأساسيَّةِ التي يطلقها النصُ. صورةَ القطيعِ وهو ينشدُ /**عشقنا الشمسَ والحريَّة**/ ، وهي صورةٌ تجسد عن انطلاقِ القطيعِ في فضاءاتٍ رحبة منظمة. توحي هذه العبارةُ بأن الحريةَ تتجاوز فكرةَ تحطيمِ القيودِ والفرارِ إلى التيهِ؛ لأنكَ من خلال الحريةِ لابدٌ أن ترتفعَ إلى مستوى الشمسِ لا أن تنهج الحريةَ أنتَ في قعرِ الوادي فقصدُ العلا من خلال الحريةِ يعطي للحياةِ تجربةَ أنضجَ؛ فالشاعرُ جسَّد تلك الحريةَ من خلال موجوداتِ الطبيعةِ التي يستطيعُ كلُّ طفلٍ أن يتخيَّلها ويرسمها صورةً ملونةً في ذهنهِ، فقد قدم العيسى هذه الملامحَ الاجتماعية بأسلوبٍ ممتعٍ

جميلٍ، فإنه يتمثَّل في التناغمِ بين أصواتِ الطبيعةِ والمعاني التربويَّةِ والاجتماعيَّةِ عن طريقِ استخدامِ "ألفاظٍ وتعابيرَ سلسلةٍ موحيةٍ، وفي التواؤمِ بين الأفكارِ والمواقفِ وما يثيرهِ من أحاسيسٍ ومشاعرَ من دونِ اصطناعٍ أو تكلفٍ، ويسعى إلى التوافقِ بين الأسلوبِ والأفكارِ، لأن الأفكارَ المختلفةَ تستلزمُ تعبيراتٍ مختلفةً، إضافةً إلى تواؤمِ الأسلوبِ مع قدراتِ الطفلِ الأدبيَّةِ والعقليَّةِ والعاطفيَّةِ" (الهيتي ، ١٩٧٧، صفحة ١٠٢) فإن تجسيد فكرة الطبيعة الممتلئة بالحب بهذا الأسلوب السهل والقريب إلى روح الطفل خلق تلاؤمًا معرفيًّا وإثارةً فطريةً من دون تكلف وتصنع، إن هذا الأسلوب في تمجيد الحرية ترسخ لدى الطفل مفاهيم مبسطة للحرية وتحصر له المفهوم الأقرب إلى قلبه هو أن الحرية لا تتطلب التمرد، بل يمكن تحقيقها في إطار الانسجامِ مع البيئة والطبيعة والامر مرتبط ايضا بالتأقلم مع محيطه المدرسي الذي ينتقل اليه من اجواء البيت الى اجواء تحتاج الى التزامات اكثر من الحريات لذا عليه ان يتعلم محيط الحرية وزمنه (صابر ، ٢٠٠٨، صفحة ٢). يقدم الشاعر الحرية كحالة اجتماعية ترتبط بشكل مباشر بمفهوم الانتماء الى الأماكن الشاهقة يعكس من خلالها تحقيق الحرية كخطوة أولى ثم قصد العلا وتحقيق الطموح وبناء الذات، وهو درس يمكن للطفل أن يستوعبه بكل يسر، حيث يتعلم أن الطموح يشبه الوصول إلى /**أعالي الجبال**/ ويتسع الأفق أمامه وتصبح الحياة أعمق.

يعتمد الشاعر على عناصر اجتماعية أخرى في هذا النص وهي أثر الطبيعة في تشكيل جماليات المجتمع فقد ذكر /**نسمة الجبال/الغمام/الأخضر المسحور**/ لتشكيل عالم يتفاعل معه القطيع المرموز المتجول في هذا الفضاء الملون ، وصورة الانسجام مع الجبال والأودية يُرسخ لدى الطفل فكرة الانتماء للأرض واحترام الطبيعة كجزء من وجوده. يشير وصف /**يرشنا بالأخضر المسحور**/ إلى الجمال والأمل الذي تُضفيه الطبيعة على حياة الكائنات، مما يعزز حب الأرض والطبيعة والوطن في نفوس الأطفال ويُنمّي لديهم الاهتمام والحفاظ عليها، وهي من الطرق الإغرائية في بث أفكار وتطبيقات الحرية.

تشجع هذه القيم الطفل على رؤية الطبيعة كعنصر داعم ومرافق له في رحلته الحياتية، ما يرسخ فيه إدراكاً عميقاً لعلاقة الإنسان مع الطبيعة بوصفها جزءاً أساسياً من الهوية والانتماء. من الملاحظ أن الشاعر عزز النص بحمولة اجتماعية مهمة وهو التكاتف والعمل الجماعي؛ فالقطيعُ لا يعبر عن نفسه فردياً، بل من خلال /**نشيد جماعي**/ تكرار صيغة "إنا" يوحي بأن صوت القطيع هو صوت الجماعة، مما يخلق نوعاً من الشعور بالأمان والانتماء ينمي هذا النص لدى الطفل قيمة العمل الجماعي، حيث يتعلم أن الجماعة يمكن أن تتيح لكل فرد فرصة العيش بحرية منظمة، لكن من دون أن يخرج عن نطاق الجماعة أو يفقد شعوره بالأمان، تُعتبر روح الجماعة التي يكرسها النص عاملاً مُهمًّاً لتربية الطفل على التفاعل مع الآخرين في مجتمعه، وفهم أن الجماعة تخلق قوةً إضافية يمكن أن تحقق الحرية والانطلاق بطريقة أكثر أمناً واستقراراً. يختتم الشاعر النص بتركيبة /**عيشنا أحلام**/ وهي تركيبة لغوية مكثفة تلقي بظلالِها والوانها الوردية من الحلم على واقع حياة القطيع. يتمثل تأثير هذا التصوير في منح الطفل مساحة للتخيل ورؤية الحياة كحلمٍ ممتع يتفاعل فيه مع طموحاته وأحلامه. يمنح الشاعر الطفل القدرة على استيعاب أن الأحلام جزءٌ لا يتجزأ من حياته، وأنها تزيد من رصيده الفكري وتؤسس لتجربته الإنسانية وتمنح حياته لذة الاستكشاف والمغامرة. يُعزز هذا النص فكرة أن عالم ما بعد الواقع عالم (الخيال) لا يقل أهمية عن الواقع الفعلي، وأن الإنسان - والطفل خاصةً - بحاجة إلى مساحة يجوب فيها بتفرعات خياله ليكتشف إمكانات جديدة ويعيش تجربة فريدة في أعماق عالمه الداخلي. يجسد نص /**في الأعالي**/ مجموعة من القيم الاجتماعية التي تُشكِّل الأساس لبناء شخصية الطفل، فهو يدعوه إلى الحرية المنظمة المسؤولة التي لا تتيح المجال للتمرد والتجاوز على مساحات الآخرين التي تلتزم بالانسجام مع معطيات الطبيعة المبرمجة على وفق نظام دقيق، ويغرس في ذائقة الطفل قبل عقله حب الجماعة والتعاون، ويحفزه على التعامل مع البيئة باحترام، فضلاً عن احتفائهِ بعنصر الحلم كجزء من تجربة العيش. يقدم الشاعر قصة القطيع البري في الجبال كرمز للانطلاق والحرية، مما يجعل النص تجربة فكرية وشعورية غنية تمد الطفل برؤية متوازنة عن العالم من حوله.

أمَّا فنيًّا، فإننا نلاحظ استخدم الشاعر مبادئ أدب الطفل من "الإيجاز التام والاستغناء عن ذكر التفاصيل من دون الغوص في إشكاليات الغموض ملتزما بمبادئ الجمال والتأثير ساعياً إلى توضيح التراكيب اللغوية وترابطها، ووضوح الأفكار... وكل غموض في هذه الجوانب يشوه المادة الأدبية وقد يفسدها". (الهيتي ، ١٩٧٧، صفحة ١٠١) فالشاعر استخدم أسلوب الاقتصاد الكلميّ والمعرفيّ اللذين تمثلا في تقديم الأفكار بصيغ أدبية لا ترهق مخيلة الطفل ولا تكلفه جهودًا جبارة ، عن طريق استخدام كلمات وتعابير واضحة لا تحتمل أكثر من معنى واحد، فكلمات الشاعر لا تقبل التأويل، جاءت مباشر ومعبرة بنغم موسيقا متلائم مع معطيات الطبيعة والحرية لتعبر عن الكلمات والتعابير معبرة موحية.

نرى قصيدة أخرى تجليات فكرة الحرية وعدم التمرد من خلال رمزية الأرنب والطبيعة والفضاء وكل هذه المساحة يطلقها ضمن أغنية يرددها الأرنب وهو يشعر بطهم الحرية والخلاص من القيود حيث يقول:

"طليقاً طليقاً

أجوبُ الفضاءْ...

أمامي البراريْ

وفوقي السماءْ

أُغني أغني

يطيب الغناءْ

إذَا كُنْتَ حُراً

يطيب الغناءْ" (العيسى ، ٢٠٠٩، صفحة ١٧٨)

يتجلَّى في متن هذا النصِّ من ديوان أراجيح تغني للأطفال لسليمان العيسى لوحةٌ رمزيةٌ موحية تمتزج فيها الحرية الشخصية وتتماهى لتتلاءم وتتقولب مع قيم الحياة الاجتماعية العام من دون أن تتمرد على أصولها، حيث يجسدها الشاعر عبر لغة إبداعية مكثفة موجهة للمتلقي - الطفل-، لكنها تحمل أبعادًا تأملية عميقةً، يبدو النص في الظاهر أنه جاء احتفاءً بجولةِ الأرنب في فضاء التحرر، ولكن القصدية الرئيسة من جولة الأرنب هي توجيه رسالة يوضح فيها طعم الحرية بوصفها نوطًا إنسانيًّا لامعًا وشاملًا.

تصبح رحلة الأرنب في النص تجسيدًا للحرية، التي تتسم بحالة ديناميكية؛ إذ يركض عبر البراري، والسماء فوقه، ممَّا يرمز إلى الانسجام بين الإنسان ومحيطه السياقي، عندما يتحرَّرُ من قيوده. إن انفتاح الكون أمام الأرنب /**الفضاء، البراري، السماء**/ يعبر عن تمثلاتٍ رحبة للحرية: التحرر من القيود الجسدية والروحية، والاندماج مع نظامٍ كونيٍّ أوسعَ يمنح للفرد قوة وجوده. هنا يسعى النص إلى غرس السعادة الحقيقية التي تكمن في التناغم مع قوانين الطبيعة، بعيدًا عن القيد الأيديولوجي، الذي يعزل الإنسان عن محيطه الطبيعي والاجتماعي. يُظهر النص الغناء بوصفه وسيلةً رمزيةً للتعبير عن السعادة الناتجة عن الحرية. الغناء هنا ليس مجرد فعلٍ فنيٍّ؛ بل هو تجسيد للبهجة الوجودية، حيث يربط النص بين الحرية كحالة نفسية، والغناء كأداء خارجيٍّ، ما يعكس تصورًا فلسفيًا بأن الحرية ليستْ حقًّا ماديًا فقط، بل أيضًا حالةٌ وجدانيةٌ تتجسد في التعبير الإبداعي. هذا التمثيل يثقف الطفل نفسيًا على أهمية استخدام وسائلَ آمنةٍ وخلاقة للتعبير عن مشاعره وأفكاره، مما يعزز فكرة المسؤولية الفردية في الحرية. وعلى الرغم من احتفاء النص بالفردانية، فإنَّ الحرية الشخصية هنا ليست متمردةً على القيم الاجتماعية، بل منسجمةٌ معها. حين يتنقل الرمز _الأرنب_ طليقًا في البراري، لا يتجاهل دوره كجزء من الكل، حيث تُظهر عناصر الطبيعة /**السماء، البراري**/ البعد الجماعي للحرية: الكون بما فيه يسخر لخدمة الإنسان، لكنه يتطلب من الإنسان بدوره احترام قوانين هذا النظام الكوني. يمكن استنباط رسالة عميقة: أن الحرية لا تكتمل إلا في ظل وجود توازن بين الحقوق الفردية والالتزامات الاجتماعية.

يعتمد النص أسلوبًا رمزيًّا شفَّافًا يناسب عقلية الطفل، لكن رمزيته تحمل أبعادًا فلسفية تربط القيم الفردية (الحرية) بالقيم الاجتماعية (التوازن والانسجام). حركة الأرنب داخل الفضاء المفتوح يمكن قراءتها على أنها دعوة ضمنية لتحرير الطفل من قيود الخوف والتردد، مع الحفاظ على احترام النظام الاجتماعي والطبيعي.

النـص إذْ يعزز القيـم الاجتماعية بطريقة غير مباشرة: الحرية الفردية لا تعني الفوضى، بل هي وسيلة لتحقيق التوازن والتناغم. يعطي النـص من زاوية فلسفية، تصورًا إنسانيًا عميقًا للحرية بوصفها مصدرًا للسعادة الفردية والانتصار على القيود، لكنه يتجنب تقديم الحرية كغاية أنانية. إنها حالة توازن بين الفرد ومحيطه، حيث يصبح التعبير عن الحرية تجربة تجمع بين الجسد (الحركة في الفضاء) والروح (الغناء). يعبر النص عن رؤية متفائلة بأن الإنسان_ حتى في أدق حالاته_ مثلُ الطفل، قادرٌ على الانسجام مع الطبيعة، إذا ما أدرك أن الحرية ليست انفصالًا عن القيود فقط، بل بناء علاقة إيجابية مع الكون ككل.

يعكس الشاعر في نص آخر رؤيته العميقة التي تتعلق بطبيعة تربية الطفل من خلال طرح حزمة من القيم الاجتماعية والإنسانية. اذ يبث الشاعر بأسلوبه الممتع جملة من المفاهيم التربوية للطفل عبر قصة شعرية قصيرة تحمل فلسفة الحرية وبشكل بسيط ومكثف حيث يقول: "اكتشفت ماويةُ الأرْنَب في أعماق الغابة بَيْتاً فارغاً، فاستقرن فيه وَعدَّتْهُ بَيْتَها الجديد، ونادت أخاها الأرنب «عداء» قائلة: تعال وانظُرْ مَسْكَني الجديد، ثُمَّ رَاحَتْ تَرْقُصُ وتُغَنّي أمام البيت:

"أنا ماوية. أنا ماوية
أَنَا أَرْنَبَةٌ. جدُّ ذَكِيَّة
هذي داري. مِثْلَ الحُلمِ
أحيا فيها. دَفَقَةَ نَغمِ
بيت واسع. أمرح فيه
كُلُّ رَفَاه. الدنيا فيه
أنْظُرْ أنْظُرْ يا عداءْ
إني أحيا. كَيْفَ أَشَاءُ
يا للرَّوْعَةِ. سوفَ تَكُونْ
كل حياتي. سَوْفَ تَكُونْ
لِلْحُرِّيَّة

أنا ماوية" (العيسى ، ٢٠٠٩، صفحة ٧٢)

يزخر النـص بمظاهر التفاؤل والإيجابية التي تتمثل في سعادة "ماوية" بالبيت الجديد، كمنظومة اجتماعية وبؤرة اساسية لمنطلقات القيم التربوية واستراتيجية محكمة للتعامل مع التحديات وتحقيق الذات، إذ ينمي النص لدى الطفل عمق الرؤية المستقبلية بنظرة مشرقة والاحتفاء بالإنجازات مهما بدت بسيطة، وهذا ما يتجسد في تحقيق ماوية لهدفها وفرجتها بدارها /**هذي داري... مثل الحلم**/ تعزز لدى الطفل الأمل والمثابرة في تحقيق الأحلام، مهما بدت بعيدة المنال.

إن إنشاد ماوية في أغنيتها تمثل احتفالًا بما امتلكت وحققت من حلم، وهو درس ضمني للأطفال حول الرضا والفرح بما لديهم، و إن شخصية "ماوية" تمثل أنموذجًا للطموح البسيط والمشروع؛ فهي حولت البيت الخالي إلى مكان تملكه وتفخر به حيث تقول /**إني أحيا كيف أشاء**/ في نبرة تشجيعة حرة للأطفال على تنفيذ عالمهم الخاص وبنائه بما يتلاءم مع أحلامهم الصغيرة، مما يعزز فكرة الاستقلالية وتحقيق الذات الجزئي، فالنص يُبرز قيمة استثمار الموجودات المتاحة لتحقيق أهداف رائعة، وهو أمر حيوي لتعليم الأطفال كيف يطورون طموحاتهم من المتاح البسيط ولاسيما أن تحقيق الهدف اجتماعيا يحتاج الى الاحتفاء باللعب واللهو كجزء من التعبير للنجاح وبمشاركة اسرية فهي تدعو أخاها "عداء" ليشاركها فرحتها، يظهر ذلك أهمية الترابط الأسري والاحتفال الجماعي، مما ينمي لدى الطفل الشعور بالانتماء والمواطنة الى البيت الجديد والوطن الكبير في تعبير رمزي للأمان، الذي يمكن للأطفال فيه العيش و اللهو واللعب بحرية، مما يُرسّخ قيمة اللعب ضمن حدود آمنة تحافظ على الطفل نفسيًا وجسديًا. "إن ثقافة الطفل لا تتوقف عند العوامل المعنوية فقط؛ لأنها

تشمل أيضا عناصر مادية محسوسة علاوة على أدوات الترفيه والتعبير الفني التي يلجأ إليها للتسلية" (شحته، ١٩٩١، صفحة ٥٧)

النص ينبض بالطاقة الإيجابية التي تظهر في حركات "ماوية" وأغنيتها المبهجة، هذه الحيوية تعزز لدى الأطفال قيمة التعبير عن الفرح بالحركة والرقص، وهو جزء أساسي من التعبير العاطفي الصحي، فالنص يقدّمُ أنموذجًا للطفل في كيفية التعامل مع الأحداث المفرحة بحماسة، حتى لو كانت صغيرة، ما يزرع في ذهن الطفل مفهوم تقدير اللحظات البسيطة، ان ما تقدم من مفاهيم اجتماعية أراد بها الشاعر أن يضعها في لوحة الحرية والاستقلالية فالنص يُعبر عن قيمة الحرية من خلال شخصية "ماوية" التي تستقر في منزل جديد وتغني: /**سوف تكون كل حياتي للحرية**/ هذه العبارة تغذي لدى الطفل أهمية الحرية والاستقلالية في التفكير واتخاذ القرارات المناسبة، ضمن الإطار الاجتماعي السليم وحرية الانتماء للبيئة تتجسد في شخصية ماوية في انتمائها إلى البيت الجديد، وهي جزء من البيئة الطبيعية المفتوحة التي توفر لها المنزل والملاذ. هذا الانتماء يغرس في الأطفال أهمية علاقتهم بالبيئة واحترامها كمصدر للأمان.

فضلاً عمَّا سبق، فإن هناك قيمةً اجتماعيةً أخرى تضمنه النص وهي المشاركة والتواصل: دعوة "ماوية" لأخيها "عداء" لرؤية بيتها ومشاركتها الفرح ترسّخ قيمة المشاركة والتواصل الاجتماعي فالشاعر يوضح للأطفال أهمية مشاركة النجاحات الصغيرة مع الأهل والأصدقاء، مما يعزز الروابط الاجتماعية، إن سليمان العيسى يقدم منظومة متكاملة من القيم التي تُسهم في بناء شخصية الطفل، مثل التفاؤل، الطموح، المشاركة، الحرية، وحب البيئة. يغذي النص الجانب النفسي والاجتماعي للطفل عبر أسلوب بسيط ومبهر يلائم عالمه، ويتيح له استيعاب القيم بشكل غير مباشر من خلال شخصية "ماوية" التي تمثل أنموذجًا إيجابيًا للفرح والإنجاز والارتباط بالأهل والمحيط.

ثانياً: تمثلات ترسيخ قيم والانتماء الهوية:

في قصيدة مفعمة بصدق المشاعر يخاطب الشاعر الأطفال لتجربة الإحساس بالانتماء إلى الأرض والجذر من خلال الجُلُوس على الأرض، في فضاء رحب مفعم بحرية الاختيار مع تقديم صورة مثالية للطبيعة وتغليف الصورة بالمنافع والإرث، محاولاً غرس الإرث الأخلاقي في نفوس الصغار وتعزيز حرية الاختيار في الانتماء – إذا يقول فيها:

"الأَرْضُ أَحْلَى وَأَمْتَعْ
فاجْلِس، وَلَا تَتَرفَعْ
تشبُّ عُودُكَ أَقْوَى
تَرْتَدَّ جِسْمُكَ أَمْنَعْ
تُحِس أَنَّكَ حُرٌّ
وحَيْثُمَا شِئْتَ تَرْتَعْ
يا مَلْعَباً كَيْفَ دُرْنا
فيه رأيناهُ أوسعْ
اجلس على الأرضِ تعرفْ
سرَ الحياةِ الممنَّعْ
ثبتْ جذورَكَ فيها
ولو بصحراء بلقعْ" (العيسى ، ٢٠٠٩، صفحة ٤٠)

القصيدة جاءت تحته عتبة (الجلوس على الأرض) هي دعوة صريحة إلى الانغماس في قيمة الإرث والتواضع وسبل الحرية وإدارة المنفعة نداء لتعريف الطفل بعالمه الأول: الأرض، فالأرض هنا ليست مجرد مساحة مادية مجردة، بل لها دلالة رمزية تحمل أبعاد هويته وتأريخه، يتيح للطفل تفاعلاً حيويًا مع العالم الخارجي؛ فالجلوس على الأرض يصبح تجربة وجودية تربط الإنسان بجذوره وبأصل تكوينه.

تستثمر القصيدة تفعيل العلاقة بين الطفل والأرض بوصفها دعوة مفتوحة للتفاعل مع معطيات الطبيعة والانسجام معها، مما يعكس وعياً اجتماعيا عميقاً بأهمية ارتباط الطفل بالمحيط البيئي كقيمة مباشرة. فالأرض ليست فقط فضاء للتأمل والاسترخاء ، بل مصدر لبناء الصحة البدنية والنفسية، إذ تتيح الجلوس عليها تعزيزاً للسلامة الجسدية، وهو ما يستحضر فكرة تربية الطفل منذ الصغر على قيم العناية بالذات وتعزيز الصحة الجسدية والذهنية.

لكن القصيدة تتجاوز هذا البعد المباشر إلى أفق أعمق وأكثر تعقيدًا، حيث تشير عبارة /**ثبت جذورك فيها**/ تنبيه للتمسك بالجذور والانتماء، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو دينة. هذه العبارة تفتح آفاقًا للجدال والنقاش على تمثلات القيم الاجتماعية في النص، إذ تشير إلى الموقف من التراث والهوية، وهما مسألتان مهمتان في أدب الطفل الذي يحاول أن يرسم رسالة اجتماعية وثقافية متداخلة. فالتراث في هذه القصيدة ليس مجرد ذاكرة استاتيكية منفصلة عن المقامة، بل هو مادة ديناميكية تُشكِّل جسراً بين الماضي والحاضر، تُقدَّم للطفل في صيغة رمزية لتعزيز وعيه بأهمية الانتماء والهوية.

إن محاورة الجذور يأخذ بُعدًا اجتماعيًا كبيرًا عندما نحلله في ضوء علاقة الطفل بالمجتمع وتراثه. هنا، تظهر إشكالية العلاقة مع التراث التي أشار إليها محمود أمين العالم حين قال: "ما يزال هذا الموضوع معركة حادة محتدمة من معارك فكرنا العربي المعاصر التي تختلط وتلتبس فيها المعايير والأحكام .. بل ترتفع فيها أسلحة الإقصاء والتكفير والاغتيال المعنوي والجسدي". (العالم و محمود ، ١٩٩٧، صفحة ٨) فالقصيدة تدعو إلى موقف وسطي من التراث والجذور، حيث لا تكون العودة إليه انغلاقاً تاما، ولا يكون رفضه قطيعة مباشرة. إنما يتمثل التراث هنا بوصفه بذرة اجتماعية متجددة ومثمرة وبعلاقة مباشرة مع مصدر الانتماء الارض، تساهم في تشكيل وعي الطفل بصورة متوازنة، بحيث يأخذ من الماضي ما يتوافق مع الحاضر ويندمج معه، من جهة أخرى، ترتبط الدعوة للجلوس على الأرض بقيمة المساواة، إذ تشير العبارة /**فاجلس ولا ترتفع**/ إلى رفض الغرور وتضخم الأنا والطبقية المقيتة، في رسالة تزرع في الطفل منذ نعومة أظفاره أهمية التواضع والانتماء السوي. فالأرض بهذا الطرح رمز لوحدة الإنسان مع بيئته وطبيعته ومع الآخرين، حيث يتحقق فيها شعور الطفل بالحرية كما تؤكد عبارة /**تحس أنك حر**/ إن أدب الطفل هنا لا يقتصر على تقديم قيم تعليمية مباشرة، بل يعتمد على رمزية قوية تُفعِّل خيال الطفل وتُنشِّط وعيه النقدي.

فالقيم الاجتماعية في هذه القصيدة تتمثل في صورتين إحادهُما مباشرة تقريرية من التفاعل مع الطبيعة والبيئة والدعوة الى الحرية، والآخر رمزي عميق مثل والانتماء للجذور والإرث والأصل، تُقدَّم بطريقة تجعل الطفل يدركها ضمن سياق جمالي يرتبط بتجربته الحسية، كالجلوس على الأرض واللعب. هذا الأسلوب التعليمي غير المباشر يعكس وعي سليمان العيسى بأهمية مخاطبة الطفل وفق مستوى إدراكي يتناسب مع بنيته النفسية والعقلية. تؤكد القصيدة أيضاً على العلاقة الجدلية بين الطبيعة والإنسان، حيث تتضح دعوة الشاعر للاندماج مع الطبيعة من خلال الجلوس على الأرض، مما يعزز البعد البيئي في أدب الطفل.

فالتربية البيئية تُعدّ جزءًا لا يتجزأُ من القيم الاجتماعية التي يحتاج الطفل إلى تعلمها في ظل تحديات عالمنا المعاصر. في الختام، تحمل قصيدة "الجلوس على الأرض" رؤية شمولية عميقة تجمع بين محورين هما علاقة الفرد بالآخر والجماعة ، حيث تدعو الطفل إلى تحقيق التوازن بين الاعتناء بذاته وبين ارتباطه بجذوره الاجتماعية والبيئية. هذا التكامل بين الفرد والمجتمع، وبين الحاضر والماضي، يجعل من النص أنموذجاً في أدب الطفل الذي يدمج بين الترفيه والتربية، وبين الجمال والقيم.

ثالثاً: تمثلات قيم الاحترام وتعليم سمة الاعتذار:

تتجلى في قصائد سليمان العيسى للأطفال تمثلات قيم الاحترام من خلال توظيف رموز ودلالات تعكس رؤيته التربوية والنقدية للعالم. فالتراث يُقدّم بوصفه ركيزة للهوية الجمعية وقناة للتواصل مع الماضي، بينما يُستدعى التاريخ كذاكرة حية تُعمّق الوعي بالأحداث والرموز الوطنية، في حين تُطرح الطبيعة كمجال جمالي وأخلاقي يستوجب الحماية. وتبرز الصداقة كفضاء دلالي يرمز إلى العلاقات الإنسانية القائمة على التآزر

والتسامح، مما يمنح قصائده بُعدًا أخلاقيًا تربويًا يتجاوز المباشرة إلى التأمل في القيم الإنسانية الكبرى. ففي قصيدة (على شرفات غرناطة) يجسد الشاعر احترام التراث العربي في الاندلس عبر شخصية أبو عبد الله الأحمر الذي طار "ذات يوم إلى الأندلس، ووقف على شرفة قصره القديم «الحمراء» في غرناطة وأخذ يتأمل روائع القصر الباقية والحدائق الخضر المحيطة به، ويتذكر الحضارة العظيمة التي بناها أجداده العرب هناك، ثم كتب النشيد الآتي:

"إني سليل الشَّمْسِ، رَمْزُ الفَخَارْ
ومن هنا جاء اسمي الأَحْمَرْ
أنا وأجدادي حَمَلنَا النَّهارْ
إلى بلاد لم تَكُن تُبْصِرْ
إنَّا أَقَمْنَا مُعْجِزَاتِ البناء
ما بين زهراء وحمراء
ونحن أَشْعَلْنا الثرى بالضياء
حين الدُّنَى أَمْواجُ ظلماء
وربما نامت حكاياتنا
و انتصرت حيناً جيوش الظلام
ذات عد تُبْعَثُ راياتنا
وتصدع الأَرْضَ الشموس النيام" (العيسى ، ٢٠٠٩، الصفحات ١٨٥-١٤٨)

ينهض النص من بعض التساؤلات الفلسفية حوّل القيم الاجتماعية والانتماء والهوية واحترام التراث والحنين إلى الماضي الزاهر الذي شيده أجدادهم مقارناً هذا الزمن بالزمن المعاصر البائس المظلم ، يقدم النص إشارات عميقة حول ضرورة حفظ التراث واحترامه كجزء من الهوية الإنسانية والجماعية من خلال المفردات التي كتبها أبو عبد الله الأحمر، يظهر احترامه العميق لتراث الأجداد في الأندلس، معبرًا عن ذلك في قوله: /**إني سليل الشَّمْسِ، رَمْزُ الفَخَار**/ هنا، يشير "سليل الشمس" إلى الجذور العميقة لهذا التراث الذي تضيء حضارته بسمات النبل والشرف، فالشمس في الأدب العربي غالبًا ما ترمز إلى المعرفة والنور. أما الفخر، فيكتسب صفة اجتماعية وثقافية، حيث إن الفخر ليس فرديًا، بل هو فخر جماعي يعكس مدى ارتباط الشخص بالمجتمع والتاريخ. يمكن فهم هذا الفخر كنوع من الاحترام لتاريخ الأجداد وأفعالهم العظيمة التي شكلت مجتمعًا راقيًا ومتقدمًا. الاحترام هنا لا يقتصر فقط على الفخر بالتراث، بل يتعداه إلى ضرورة أن يُحترم هذا التراث من قبل الأجيال الحالية. يتمثل ذلك في إشارة أبي عبد الله الأحمر إلى "الحمراء" و"لزهراء"، المعالم التاريخية التي تبقى شاهدة على حضارة عظيمة، يتذكر الأزمنة التي كان فيها "النهار" (الأنوار الحضارية) تنتقل عبر الأجيال، ويشيد بما حققه أجداده من "معجزات البناء" بين "زهراء وحمراء". يظهر الاحترام هنا بوصفه ضرورة اجتماعية لحماية القيم التاريخية والثقافية. لم يكن التراث مجرد مبانٍ، بل كان حكايات وأحلامًا مستمرة عبر الأجيال، مما يعزز دور كل فرد في المجتمع في الحفاظ على هذه الروح الثقافية. النص يقدم أيضًا رسائل عميقة موجهة للأطفال من خلال تلميحات فلسفية في كلمات مثل:/**وربما نامت حكاياتنا و انتصرت حينًا جيوش الظلام**/ هذه الفقرة تعكس تعاليم تحث على الصبر والاستمرارية في الحفاظ على التراث. الحكايات التي قد تنام في لحظات من الصمت أو التجاهل، لكنها في النهاية تنتصر، وهي دعوة للأطفال للاحتفاظ بتلك الحكايات حتى وإن بدا أن الزمن يحاول طمسها. إن فلسفة "النصر" هنا تتجسد في ضرورة حفظ الهوية التاريخية من خلال الأجيال القادمة، حيث يشير النص إلى أن التراث سيظل قائمًا رغم المحاولات المتواصلة لتهميشه أو محوه. في النهاية، يقدم النص دعوة فلسفية مجتمعية لا يمكن التغاضي عنها. إنها دعوة لحفظ التراث، ليس فقط كقيمة تاريخية بل كإرث ثقافي يجب أن يُحترم ويُعلّم للأجيال المقبلة. عملية الحفظ هذه لا تقتصر على المباني أو الأشياء المادية

فقط، بل تتضمن أيضًا نقل القصص والقيم إلى الأجيال التالية. يظهر النص كيف أن التاريخ لا يُحفظ في الكتب فقط، بل أيضًا في الأفعال اليومية لكل فرد في المجتمع الذي يعي أهمية الحفاظ على هذه القيم.

تتجلى فكرة التمرد ضد الظلام في النص حين يشير أبو عبد الله الأحمر إلى أن الأرض ستُصدع بـ /**الشمس النيام**/ وهي صورة تشير إلى العودة للوعي والانتفاض ضد محاولات دفن التراث تحت غبار النسيان. إن "الظلام" هنا ليس فقط كناية عن القهر الاجتماعي أو السياسي، بل عن التهديد الذي قد يواجه الثقافة والتراث من فتن الزمن وتغيرات العالم. النص، في جوهره، يشكل دعوة فلسفية اجتماعية عميقة حول ضرورة احترام التراث وحمايته، وتعليمه للأجيال الجديدة. إن التعليم عن قيمة التراث يصبح واجبًا اجتماعيًا يرتبط بهوية المجتمع ككل، وأي محاولات للتخلي عنه أو تجاهله تُهدد تماسك هذا المجتمع. النص يُذكرنا بأن الأمل في الحفاظ على هذا التراث لا يتطلب فقط الحنين إليه، بل يتطلب الإصرار على استمراره عبر الأجيال.

يعمل الشاعر في القصيدة أخرى على ترسيخ مبادئ احترام الطبيعة بمكوناتها من أزهار، وأشجار، وحقول، وحتى الحيوانات الأليفة. كما يُبرز أهمية احترام الممتلكات العامة التي قد تعترض طريق الأطفال أثناء لعبهم. فهو يقول:

"الأولاد في الغابة

مجموعة من الأولاد يطوفون الغابة وهم يقطفون الأزهارويغنون

تطوف في الغابات والحقول

لنقطف الأزهار

لتجمع الأزهار

ترى أيرْضَى الغَابُ والحُقُول

أن نقطف الأزهار؟

أن نحرمَ البَرِيَّة

زينتها البهية؟

وينتهي الجمال للدبول

ترى، أيرْضَى الغَابُ والحُقُولُ؟" (العيسى ، ٢٠٠٩، صفحة ١٠٦)

يُقدّم الشاعر هذه المبادئ التربوية بطريقة غير مباشرة، حيث يجعل الأطفال أنفسهم يغنون هذه الأفكار، مما يعزّز التأثير في أذهانهم ويجعل الرسالة أكثر رسوخًا. من خلال صيغة الأسئلة المطروحة في النص، يصوّر الشاعر الطبيعة ككائن حي له إرادة ومشاعر، لا يرضى أن تُسلب منه زينته أو تُدمر جمالياته. هذه الاستعارة الرمزية تُحاكي الغريزة الإنسانية في الدفاع عن الممتلكات، مما يضيف بُعدًا تربويًا قويًا يعزز من إحساس الأطفال بمسؤوليتهم تجاه البيئة، النص يُبرز أيضًا دعوة صريحة إلى التفاعل الصحي مع الطبيعة، ليس فقط من منطلق الحفاظ عليها، بل لأثرها النفسي الإيجابي على الطفل؛ فالتعامل الواعي مع الطبيعة يُنمّي قيمًا اجتماعية مثل الاحترام، المسؤولية، والانتماء للبيئة المحيطة.

وفي نص آخر يحاول العيسى أن يعلم الأطفال ثقافة الاعتذار كجزء من إجراء الاحترام عن طريق قصة وأغنية بسيطة ينطلق من قوله: "أرْسَلَ الظَّبْيُ الصَّغِيرُ شَادِنُ الرسالة الشعرية الآتية إلى عفراء يُحييها، ويَعْتَذِرُ لها عن التهام شجرتها الجميلة خطأ، ويدعوها إلى زيارته في البرية..

"صديقتي عفـــــراء يـا زَهْرَةَ المَساء

يا بـــــسمة الصَّبَاح إذا النـهار لاح

من آخـــــر البراري يَجِيـئُكِ اعتذاري

سَهُوا قَضَمْتُ الشّـــجَرة. هل تَقْبِلِينَ المَعْذِرَة؟

نحن على الأوراق والأعشاب نَعِيشُ يَا عَـفْراء""

النـــص الشـعري (صـديقتي عفراء) يحمل رسـالة أخلاقية عميقة للأطفال، حيث يتناول القيـــم الاجتماعية والإنسـانية برمزية الحيوان الذي يرسـل رسـالة اعتذار الى عفراء ، فالنـــص يظهر أهمية الصـداقة والمودة مركزة على بؤرة أسـاسـية ألا وهي أسـلوب الاعتذار والصـفح من خلال وصـف "عفراء" بأنها زهرة المسـاء وبسـمة الصـباح، مما يعكس عمق العلاقة العاطفية. كما يبرز احترام الطبيعة بوصـفها جزءًا من حياة الإنسـان اليومية، حيث يشير إلى البراري والأعشاب والشجرة كعناصر حية تستحق العناية.الاعتذار هو المحور الأساسي للنص، ويتجلى فـي اعتراف المتحدث بخطئه بقضم الشجرة، متبوعًا بطلب الصفح من "عفراء" بسؤال صريح: "هل تقبلين المعذرة؟". هذا الاعتراف يبرز قيمة الصـدق وتحمل المسـؤولية، مما يعلّم الطفل أن الخطأ يمكن إصلاحه بالاعتذار الصـادق. إضـافة إلى ذلك، النـــص يُضـفي طابعًا إنسـانيًا على الطبيعة من خلال مخاطبة "عفراء"، مما يوسع مفهوم الاعتذار ليشـمل البيئة، ويعزز احترام الطفل للعالم الطبيعي، النـــص مكتوب بلغة بسـيطة سـهلة الفهم، مع صـور جمالية مثل /**زهرة المساء/ و/بسمة الصباح**/، التي ترسّخ القيـــم فـــي خيال الطفل. الإيقاع المنغّم يعزز من قابلية النـــص للحفظ، مما يجعله وسـيلة تعليمية فعالة. الرسـالة الأخلاقية الموجهة للأطفال تؤكد أن الاعتذار هو قوة المقدرة الأخلاقية التي تسهم فـي تعزيز وتقوية العلاقات الاجتماعية وحماية الطبيعة. النـــص يقدم عبرة مبسـطة ، يجمع النـــص بين القيـــم التربوية والاجتماعية واللغة الشـعرية الجميلة المكثفة، مما يعكس براعة سليمان العيسى في صياغة رسائل اجتماعية بأسلوب يناسب الأطفال.

رابعاً: الدعوة إلى تصحيح الأفكارورفض المسمات الخاطئة:

يحاول الشـاعر عن طريق توظيف بعض الرموز الحيوانية / **السـلحفاة/ الحمار/ الثعلب**/ توجيه الفكر وتصويب مساره وتعزيز منطلقاته الاجتماعية لدى الأطـفـال . وتحطيم بعض المسلمات المطلقة المتعارفة فـــي الانسـاق البشـرية مثلا السـلحفاة، التي قد يُنظر إليها المجتمع على أنها ايقونة للبطء والخمول فـــي نظرة سلبية، والحمار بالغباء والاستهزاء منه ومن غفلته، والثعلب بالمكر والدهاء يحاول الشاعر ايجاد مسوغات لهذه المسلمات وتغير مجراها فـي فكر الأطـفـال ، حيث يعلمهم أن الصفات لا تُحصر فـي الأحكام المطلقة القطعية، بل تحمل ايضا أبعادًا ايجابية يمكن توظيفها لخدمة الانسان والمجتمع. هذا النهج ينمي وعي الأطـفـال ويفهمهم الاختلافات التي يمكن أن تكون بجنبين إيجابية وسـلبية، ففي قصـيدة (السُّـلَحْفَاةُ تُدافِعُ عَنْ نَفْسِـها) يصـور الشـاعر تهكم الجميع على السـلحفاة وينعتونها بالبطيئة والخاملة ملت هذه الكلمات السـاخرة، وعلقت والكسـول. وفي ذات يوم على باب بيتها النشـيد التالي، كَيْ يَقْرَأَهُ الرَّائِحُ والغادي ويعرف رأيها وموقفها. كانَتْ كَلِمَاتُ النَّشِيدِ تَقُولُ:

"يُقَالُ عَنِّي بَطِيئَة
والبُطْءُ رَمْزُ حياتي
أَقْضِي حَيَاتِي هَنِيئَةْ
فما لَكُمْ ... ولذاتي؟
أَنَا السُّلَحْفَاةُ ... عِنْدِي
تأملاتي وصمتي
وَلَسْتُ أَقْتُلُ نَفْسِي
لِكَيْ أَقَصرُ وَقْتِي
سعيدة بهدوئي
كَثِيرَةٌ مُنْجَزاتي
لَكُمْ مَفَاتِنُ دُنْيا
ولي جمال حياتي" (العيسى ، ٢٠٠٩، صفحة ١٨٤)

يُعد النص الشعري "السلحفاة تدافع عن نفسها" دعوة لفهم خصائص حياة بعض الكائنات والوقوف على الفروق الفردية بينها وبين غيرها، حيث يصور لنا فـي هذه القصيدة حياة السلحفاة الهادئة والمعتدلة فـي

ظل الصخب العالمي المحيط به والتطرف المتغلغل في القيم الاجتماعية. النص يركز بشكل صريح على إنماء قيمة الهدوء والصبر التريث والرضا عند الطفل من خلال رمزية السلحفاة يبث الشاعر نمطية ايجابية للحياة وتصويب الفكر السلبي لهذه الخصائص وتعزيز فكرة البطء والصبر في الإنجاز لتحقيق الأهداف المنشودة، حيث يجسد سليمان العيسى السلحفاة وطبيعته في السير البطيء كرمز للحكمة والصواب والاتزان في اتخاذ القرارات السلحفاة في النص غير الكائن المشهور بالخمول بل على العكس، هي رمز للإنتاج والإنجاز والتفكير بعيدًا عن كل الاضطرابات المرتبط باللهاث وراء السرعة.

النص يرمي إلى تذويب الافكار وتصحيح بعض المسلمات الشائعة في تربية الطفل والتركيز على القيم الاجتماعية الصائبة في التوازن بين الإنجاز والهدوء، كما يؤكد على بث السعادة والبهجة في نفسية الطفل كما يريد تفنيد المقولة المتداولة "التسارع سمة لتحقيق أكبر عدد من الإنجازات في أقصر وقت" واصفا هذه المقولة بالاضطراب والابتعاد عن حقيقة الحياة، إن الجمال والراحة في الاستمتاع بالتفاصيل اليومية والاعتزاز بإيقاع الحياة الخاص وتحقيق الحقيقة من خلال هذه النغمة الهادئة. السلحفاة تعلن موقفها بكل ثقة من خلال النشيد الذي كتبته، وتؤكد حجم قناعتها بحياتها ورضاها عن مُنجزاتها التي تحققت بلطف وتأمل.

النص الشعري يرسخ في ذهن الطفل قيم القناعة وكم يعزز فكرة الاختلاف عن الآخرين هو التميز ولا يعد عيبًا اجتماعيا بقدر ما هو تفرد، وإن التريث و الهدوء يمكن أن يكون مصدر قوة وإنجاز. هنا تكمن دعوة ضمنية للتفكير النقدي والتخلص من الأحكام المعيارية التي قد يصدرها المجتمع بشكل عشوائي ، كما أن السلحفاة تقدم صورة واضحًة عن قيمة الثقة بالنفس والتصالح مع الذات، حيث تختار نمط حياة يتفق مع طبيعتها دون محاولة التشبه بالآخرين. توظيف الحكاية في النص الشعري يجعل الفكرة أكثر تشويقا للطفل مقارنة بالأسلوب التقريري الممل. فالحكايات تمثل وسيلة فعالة لإيصال القيم والأفكار؛ لأنها تتسلل إلى عاطفة الطفل قبل عقله وتثير فيه جملة من المشاعر، مما يسهل ويغري على تقبل الفكرة واستيعابها. النص أيضًا يعيد إلى الأذهان إيجابية الحكايات التراثية من كتاب كليلة ودمنة مثل "الأرنب والسلحفاة"، التي تُظهر أن الصبر والعمل الدؤوب أكثر أهمية من الاندفاع والسرعة المؤقتة.

فضلا عن أن النص يستقرئ قيمة اجتماعية أخرى، وهي مسألة "مفاتن الدنيا" وتصويب مسارها التي يسعى وراءها معظم البشر، محاولاً إضافة مفاتن غير تقليدية للأطفال من خلال هذه الحكاية الشعرية. هذا يفتح آفاقًا لتعليم الطفل أن هذه القيم الجوهرية للعيش تتجاوز المظاهر السطحية المنفعية .ولذا وجب مراعاة الاتجاهات الموجبة في رسم شخصيات والابتعاد عن الاتجاهات السالبة، حتى يكون التقمص الشخصية سوية فيها الإنصاف والتعاون والجرأة والحرية والمسؤولية والاستقلال." (شحته، ١٩٩١، صفحة ٥٩) فالنص إذًا لا يدعو فقط إلى البطء في شخصية السلحفاة كقيمة اجتماعية ، بل يُعيد تعريف الإنجاز والسعادة بمعايير تتناسب مع جوهر الحياة وتأملاتها.

وفي قصيدة (**الحمارُيُدافع عن نفسِهِ**) مماثلة لكن هذه المرة على لسان الحمار يحاور الشاعر تصويب بعض المفاهيم الأساسية في مخيلة الطفل، إذ يقول على لسان الحمار:

كُلُّهُمْ يَهْزَأُ مني.. كُلُّهُمْ
من غبائي ضاحكٌ أو ساخرُ
أنا أذكى الناس أحياناً ولي
"غفلةٌ حيناً، وفكر قاصرُ
أتُرَاهُمْ كُلَّهُم مِن عَبْقَرِ؟
فيهم ألف حمار سائر"(العيسى ، ٢٠٠٩، صفحة ٧٧)

دلالة الطاغية على هذا الكائن / **الحمار**/ في الثقافة العربية وفي أغلب الثقافات الأخرى دلالة محصورة بـ(الغباء) فعبر الثقافة والأنساق المتراكمة عبر اللاوعي الجمعي ظل الحمار يرمز للغباء فإذا ما أراد شخص ما أن يسخر ويهزأ ويقلل من قيمة إنسان نعته بالحمار رمزا للبلدة والبلاهة وعدم الفهم, وأراد الشاعر

معالجة هذه الطبيعة الاجتماعية المنتشرة في الثقافة تحت ما تدعو إليه الثقافة العالمية اليوم وهو مصطلح (التنمر Bullying) ففي الآونة الأخيرة تم التركيز على هذا المسألة لما تحمله من آثار سلبية خطيرة على صحة الأفراد النفسية وبالتالي صحة المجتمعات بشكل عام. فالشاعر يعالج هذه المسألة بالتركيز على إيجابيات هذا الحيوان الذي صيرته الثقافات رمزا سلبيا، بالتالي يقودنا لمسألة أكبر ألا وهي الإنسان والسخرية من الآخر بشتى الطرق (لونه, مظهره, عرقه, أفكاره) فمحاربة هذا الأفكار وتصحيحها منذ وقت مبكر لدى الطفل ينتج عنه جيل مثقف وواع ومتقبل للتنوع البشري.

في قصيدة أخرى يُبرز شخصية "الثعلب" المعروف في الموروث العربي والغربي بالمكر والدهاء، وهي صفة تُستخدم في سياق سلبي غالبًا، للإشارة إلى شخص يتخذ الخداع وسيلة لتحقيق أهدافه. إذا أُريد وصف أحد بالمكر بمعناه السلبي، يقال: "فلان ثعلب"، في إشارة إلى استغلاله هذه الصفة بطرق غير مشروعة. ومع ذلك، فإن "المكر" و"الدهاء" هما صفتان ذاتا حدين؛ فقد يُستخدمان لأغراض نبيلة تخدم المجتمع من دون التسبب في أذى للآخرين، ينقل لنا في هذه القصيدة تفنيد هذا الحكم المطلق قائلاً:

"تروي الحكايات القديمة كُلها
أني الذَّكِيُّ المَاكِرُ المُحْتَالُ
أَصْبَحْتُ رَمْزاً لِلْخِداع، وقِصَّةً
في إثرِ أُخْرى ... كُلُّهُنَ خيال
تِلْكَ الشَّرَارَةُ من ذَكَائِي مَرَّةً
تُذكى، ومَرَّاتٍ يَسُوءُ الحالُ
الثعْلَبُ الْمُحْتَالُ.. كَمْ مِنْ سَقْطَةٍ
في إِثْرِها أَقْسَمْتُ لَا أَحْتَالُ
إني لأَكْسَبُ لُقْمَتي بمرارة
ويُقال عني.. أُتْرَكُوهُ يُقَالُ
الثعلب يدافع عن نفسه" (العيسى ، ٢٠٠٩، صفحة ١٧٠)

في هذه القصيدة، يلجأ الشاعر سليمان العيسى إلى "أنسنة" الحيوان، حيث يجعل "الثعلب" يتحدث بلسانه للدفاع عن نفسه. من خلال هذه الطريقة، يعالج الشاعر صفة المكر الشهيرة المرتبطة بالثعلب، ويوجه الطفل إلى التفكير النقدي في كيفية توظيف الذكاء. فالقصيدة تسلط الضوء على أن استخدام الذكاء والمكر في التضليل والخداع يعود بنتائج عكسية، بينما يمكن تسخيره لأهداف إيجابية وبنّاءة.

يعتمد الشاعر على الخيال البسيط والجذاب لشد انتباه الطفل، مقدمًا درسًا تربويًا يعلّم الأطفال القيم الإيجابية بطريقة طريفة وغير مباشرة. كما تتناول القصيدة تصوير الآثار النفسية والاجتماعية التي تصيب المحتال، مثل الندم وسوء الحال، إلى جانب الإشارة إلى الأسباب التي قد تدفع الشخص إلى الخداع، مثل الظروف الاجتماعية القاسية.

يقدم سليمان العيسى نموذجًا شعريًا للأطفال يدمج بين الخيال والأخلاق، مما يعزز القيم الاجتماعية بطريقة ممتعة ومؤثرة. وليس بالوسع وضع مواصفات محددة لأسلوب أدب الأطفال في المعالجة، ذلك لأن طبعة المضمون تفرض ، في العادة، جانباً من طبيعة الأسلوب، وفي كل حالة ينبغي أن نجد وحدة بين المضمون وبين الأسلوب تؤلف عماد اللون الأدبي." (الهيتي ، ١٩٧٧، صفحة ٩٧) من خلال هذه المعالجة، تحمل القصيدة بعدًا تربويًا واجتماعيًا، حيث تعلم الأطفال ألا يحكموا على الأشخاص بناءً على الصورة النمطية التي ترسخت عنهم، بل أن يفكروا في سلوكياتهم ودوافعهم.

خامساً: توليف صورة الجن وتفعيل الشجاعة الروحية لدى الأطفال:

إن تجلي قصص الجن والخيال في الأشعار الموجه للأطفال لها أهمية تربوية وثقافية واجتماعية عميقة في فكر الطفل، ولا سيما في توظيف صورة الجن، إذ يخلق نوعًا من الخيال عند الطفل في تشكيل صورة من

العدم وتجسيد هذه الصورة بإعطائها أدوارًا ومغامرات، متخيلاً نفسَهُ بطلاً من ابطال هذه الحكاية الخيالية، من جانب آخر إن الانغماس تحت هذا النوع من الخيال والتصّور يُثري خيال الطفل ويُطلق قدرته على التفكير الإبداعي. ويعزز فيه قيم اجتماعية مثل التخلص من الخوف والشجاعة في مواجهة المجهول وتبعده عن الكثير من الخرافات التي لحقت بعالم الجن كما أن هذه القصص تسخر لتطابق عالم الطفل الخيالي البريء.ففي قصيدة (صَدِيقُ الفُقَرَاءِ) يصف الشاعر خطاب الجن مع الإنسان حيث تبدأ القصة من قاطع الأحجار المسكين الذي كان يضرِبُ الصَّخْرَةَ بِفَأْسِه، وهو يشكو عمله الشاقَّ المُرْهِقَ ، ويحلم بالراحة والعيش الرغيد. فجأة.. أجابه صوت من أَعْلَى الجَبَلِ مُنْشِداً:

"أنا الجِنّي.. ذو القَلْبِ الرَّحِيمِ
وهذا الشامخ العالي تخومي
أُحِبُّ النَّاسَ، أُنْجِدُهُمْ إِذَا مَا
أتوني هاربين من الهموم
أنا الجني.. هذا الصَّخْرُ بَيْتِي
ولكن قد أطير إلى النجوم
أُحَلِّقُ في الفَضَاءِ، أَقُولُ شعراً
و اكتُبُه بِأَجْنِحَةِ الغُيومِ
أنا الجِنّي.. والفُقَرَاءُ صَحْبِي
أجيبُهُمُ أَخَفَّ مِنَ النَّسيم" (العيسى ، ٢٠٠٩، صفحة ١٦٢)

يحاول سليمان العيسى رسم لوحة اطمئنان لعالم غير المرئي (عالم الجن) وتقريب هذا المسمى /الجني/ المخيف في عالم الطفولة إلى صورة مألوفة وبريئة ومساعدة للإنسان، إذ كان يشكل وما زال في مخيلة الأطفال مساحة من الرعب والخوف. يشتغل النص على تحويل صورة الجن إلى شيء مختلف ولطيف تماماً، حيث يصبح الجني متعاونا وصديقاً للضعفاء ومنقذاً للفقراء والمحتاجين في غاية تربوية نفسية تؤهل في الطفل سمات الشجاعة وعدم الخوف.

عالم الجن في الثقافة العربية ارتبط منذ القدم بالغموض والإبهام والرعب والأساطير والخرافة، وكان الجن والمارد والمصباح السحري والجنية من أبرز منطلقات القصص والحكايات القديمة التي تمزج بين الواقع الاجتماعي والخيال. وغالباً ما صُوِّر الجن ككائنات خارقة للمنطق، تجمع بين القوة الغامضة والأذى.

لكن الشاعر عمد هنا إلى تقديم صورة مغايرة عن هذا العالم الغيبي، جاءت بكلمات متناسبة مع عقلية الأطفال واحتياجاتهم النفسية. هذه الصورة الجديدة تسهم في ابعاد الطفل عن بعض الخرافات المتوارثة التي اصبحت بمرور الزمن تشكل عالماً غيبياً لا أساس له من الواقع، يريد الشاعر بث روح الإيجابية التي تركز على طمأنة الطفل وإشعاره بالأمان حتى تجاه ما يبدو غريباً أو مجهولاً. فالجني في النص يتحدث بلسان ودي ومليء بالحب والرحمة وكأنه الصديق، مما يكسر الصورة المخيفة المتوارثة عن عالم الجن. هذا الطرح يجعل الطفل يتقبل فكرة أن المجهول ليس بالضرورة مخيفاً، بل يمكن أن يحمل معاني الخير والعون.

يتضمن النص قيم اجتماعية إيجابية يعززها حديث الجني مع قاطع الأحجار، وعرضه لتقديم المساعدة، مما يغرس لدى الطفل أهمية مساعدة الآخرين والتعاطف معهم. كذلك يظهر الجني كشخصية ودية متواصلة مع بني البشر، ما يدفع الطفل إلى التشجع في فكرة التواصل الإيجابي حتى مع ما قد يبدو غريباً أو مختلفاً. الشاعر نجح في المزاوجة بين الخيال والواقع، حيث وظف الخيال لإبداع شخصية الجني الرحيم، وربطها بالواقع الاجتماعي للفقراء والمحتاجين، مما يجعل الطفل يكتسب قيماً أخلاقية من خلال هذا المزج. هذا التوجه يعزز خيال الطفل بطريقة فريدة، حيث يقدم صورة عن عالم يبدو بعيداً لكنه محب وقريب. وبذلك، يغرس النص في الأطفال روح التفاؤل ويحفزهم على رؤية الخير في كل ما يحيط بهم، سواء في الواقع أو في خيالهم، مما يسهم في بناء شخصية أكثر توازناً وتواصلا وشجاعة واجتماعية.

في قصيدة أخرى يحاول الشاعر تقريب صورة الجن لدى الأطفال ويتحدث عن عالم الجن فيصور للطفل أنهم كائنات وجدت لمساعدة الإنسان قاصداً إزالة تلك الصورة المترسخة في أذهان الأطفال عن هيأة الجني القبيح المتوحش بملامحَ مخيفة ففي قصيدة (الجِنُّ والقَمَاقِم) يحدث عن راوي أخذ قيثارته، وجمع الأولاد حوله، وبدأ حكاية الجني الذي خرج من القُمْقُم بهذه الأغنية قائلاً:

"اسْمَعُوا يا أولادْ
مُنْذُ القديم يَحْبِسُون الجن في القماقمْ
مُنْذُ القديم.. يُبْدِعُونَ الطَّرَفَ الغريبةْ
ويسردون القصص العجيبةْ
عن مارد وخاتمْ
نفك عنه فجأةً
تعويذة الطلاسمْ
وينطلق..
أمامنا ملء الأفقْ
منفذاً ما نشتهي منه وما نريدْ
لبيك، إني ها هنا"... (العيسى ، ٢٠٠٩، صفحة ١٢٤)

ينطلق الشاعر سليمان العيسى من الموروث الثقافي العربي، مستلهمًا الحكايات والأساطير التي شكّلت جزءًا من الوعي الجمعي العربي عبر العصور. في هذه القصيدة، يحاكي الشاعر الأنساق الثقافية المتراكمة حول تصورات الناس عن الجن، وهي تصورات امتزجت بالحكايات الشعبية وأساطير السمر. العرب منذ القدم كانوا من الشعوب المؤمنة بوجود الجن والعفاريت، واستخدموا السحر والتعاويذ لاستحضارها، وهو ما منح هذه الكائنات حضورًا دائمًا في الخيال الشعبي. بعد ظهور الإسلام، وذكر الجن في القرآن الكريم، تعزّز هذا الإيمان وزاد حضور هذه الكائنات في الثقافة العربية. الشاعر يُعيد صياغة هذه التصورات بلغة تناسب الطفل المعاصر، حيث يُثير خياله بفكرة الجني الذي يخرج من القمقم ليُلبي له ما يشتهي، مما يجعل النص حافزًا لتنمية التفكير الخيالي والإبداعي لدى الطفل. إلى جانب ذلك، يُبرز النص قيمة اجتماعية مهمة، وهي تعزيز الوعي الثقافي لدى الطفل. من خلال استحضار الحكايات التراثية، يُنمي الشاعر ارتباط الطفل بجذوره الثقافية ويُعرّفه على إرثه الشعبي، مما يُسهم في ترسيخ الهوية والانتماء. كما أن القصيدة تدعو الطفل إلى الحلم والتفاؤل، إذ تُعطيه صورة عن عالم مُحتمل تتحقق فيه الأمنيات، مما يغذي لديه روح الطموح والإيجابية.

الخاتمة:

في ديوانه أراجيح تغني للأطفال، كشف سليمان العيسى عن قدرة فريدة على التحاور مع الطفولة، ليس بمنطق التعالي أو الإملاء، بل من خلال النزول إلى مستوى الطفل فكريًا وعاطفيًا. أبدع الشاعر في تطويع أدواته السردية والشعرية، مستفيدًا من رمزية الحيوان وإنسنته، ليخلق جسورًا بين الخيال الطفولي والواقع الاجتماعي. هذه الرمزية لم تكن مجرد وسيلة جذب، بل أداة فلسفية عميقة تُلامس اللاوعي لدى الطفل، حاملة رسائل أخلاقية واجتماعية تتسلل بسلاسة إلى نسق الطفولة لتنمو مع الزمن، متجذرة في سلوكهم وهويتهم.

انطلق العيسى من الطبيعة بعناصرها الحسية والألوان المحيطة بالطفل، لتكون نافذته لبث قيم اجتماعية وثقافية راسخة. وعلى الرغم من أن هذه القيم جاءت أحيانًا بأسلوب غير مباشر، إلا أنها تكتسب تأثيرها من كونها تُزرع في أعماق الطفولة بتلقائية، لتثمر لاحقًا في وعي اجتماعي وأخلاقي متكامل.

لقد ركز العيسى على قيم اجتماعية عربية وإسلامية جوهرية، معززًا الانتماء والهوية والبطولة لدى الطفل، وجعل هذه القيم جزءًا لا يتجزأ من التجربة الشعرية. ولم يكتفِ بذلك، بل صاغ رؤيته التربوية بربط القضايا الأخلاقية بالسياقات الاجتماعية، مقدّمًا منظومة تعليمية شاملة، تتداخل فيها التربية مع القيم.

بهذا الأسلوب الفريد، استطاع سليمان العيسى أن يعيد تعريف أدب الطفل، ليس بوصفه مجرد أدب تعليمي أو ترفيهي، بل كمنظومة فلسفية شاملة تسعى لتشكيل وعي الطفولة على أسس متينة، تجعل من الطفل نواةً لمجتمع قادر على فهم ذاته وهويته، ومتفاعل مع القيم الإنسانية الكبرى.

المراجع:

ابراهيم مدكور. (١٩٨٣). *المعجم الفلسفي* (الإصدار ١، المجلد ١). القاهرة، جمهورية مصر العربية : بشؤون العامة للمطابع الاميرية.

احمد زلط. (١٩٩٧). *ادب الطفولة اصوله رؤى تراثية*. بيروت: الشركة العامة للنشر والتوزيع.

احمد نجيب . (١٩٩١). *أدل الطفل علم وفن* (المجلد ١). القاهرة، جمهورية مصر العربية : دار الفكر العربي.

اسـماعيل عبد الفتاح. (٢٠٠٠). *أدب الاطفال في العالم العربي (رؤية نقدية تحليلية)* (المجلد ١١٨). القاهرة، جمهورية مصـر العربية : مكتبة الدار العربية للكتاب.

العالم، و محمود امين . (١٩٩٧). *مواقف نقدية من التراث* (المجلد ١). القاهرة، جمهورية مصر العربية : دار قضايا فكرية للنشر والتوزيع.

انيس الداود. (١٩٩٣). *أدب الطفل في البدء كانت الانشودة* (المجلد ١). القاهرة، جمهورية مصر العربية : دار المعارف.

جبور عبد النور . (١٩٧٩). *معجم المصطلحات الادبية* (المجلد ١). بيروت، لبنان : دار العلم للملايين.

جميل صليبا. (١٩٨٢). *المعجم الفلسفي* (الإصدار ١، المجلد ١). بيروت، لبنان: دار الكتاب الاميرية.

حسين شحته. (١٩٩١). *أدب الطفل العربي* (المجلد ١). الفاهرة، جمهورية مصر العربية : دار الكتب المصرية اللبنانية.

سعيد علوش. (١٩٨٦). *معجم المصطلحات تاتدبية المعاصرة* (المجلد ١). بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

سليمان العيسى العيسى . (٢٠٠٩). *أراحيج تغنى للأطفال* (الإصدار الاول، المجلد الاولى). دبي، امارة دبي ، الامارات العربية المتحدة : مجلة دبي الثقافية - دار الصدى.

عبد الفتاح ابو المعال . (١٩٨٨). *أدب الطفل* (المجلد ٢). عمان ، الاردن : دار الشروق للنشر والتوزيع.

عمار حليم حامد. (١ كانون الثاني, ٢٠٢١). الخصائص الموسيقية والفنية لاغنية الاطفال الكري. *مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية*، ١ (١)، صفحة ٧٠٧.

مكرم محمد ابن منظور. (١٩٩٩). *لسان العرب* (المجلد ١). (ع السلام، المحرر) بيروت، لبنان: دار صادر.

نيان نامق صابر . (- تموز, ٢٠٠٨). دور رياض الاطفال في التكيف المدرسي لدى تلاميذ الصف الأول الابتدائي، . *مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية*، ٣ (٢)، ٢-٢٠.

هادي نعمان الهيتي . (١٩٧٧). *أدب الاطفال فلسـفته فنونه ووسـائطه* (المجلد ١). (الالف كتاب الثاني، المحرر) بغداد، العراق : دار الشـؤون الثقافية في العراق.

References:

Ibrahim Madkour (1983). The Philosophical Dictionary (Issue 1, Volume 1). Cairo, Arab Republic of Egypt: General Affairs for Amiri Presses.

Ahmed Zalat (1997). Children's Literature: Its Origins and Heritage Perspectives. Beirut: General Company for Publishing and Distribution.

Ahmed Naguib (1991). Children's Literature: Science and Art (Volume 1). Cairo, Arab Republic of Egypt: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Ismail Abdel Fattah (2000). Children's Literature in the Arab World: A Critical and Analytical Perspective (Volume 118). Cairo, Arab Republic of Egypt: Dar Al-Arabiyya Book Library.

Al-Alam, and Mahmoud Amin (1997). Critical Positions on Heritage (Volume 1). Cairo, Arab Republic of Egypt: Dar Qadaya Fikriya for Publishing and Distribution.

Anis Al-Dawoud (1993). Children's Literature: In the Beginning Was the Song (Volume 1). Cairo, Arab Republic of Egypt: Dar Al-Maaref.

Jabour Abdel Nour. (1979). Dictionary of Literary Terms (Volume 1). Beirut, Lebanon: Dar Al-Ilm Lil-Malayin.

Jamil Saliba. (1982). Philosophical Dictionary (Issue 1, Volume 1). Beirut, Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Amiriya.

Hussein Shehta. (1991). Arabic Children's Literature (Volume 1). Cairo, Arab Republic of Egypt: Dar Al-Kitab Al-Masryia Al-Lubnaniyya.

Saeed Alloush. (1986). Dictionary of Contemporary Literary Terms (Volume 1). Beirut, Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Lubnani.

Sulaiman Al-Essa Al-Essa. (2009). Arahij Taghani Lil-Atfal (First Edition, Volume 1). Dubai, Emirate of Dubai, United Arab Emirates: Dubai Cultural Magazine - Dar Al-Sada.

Abdul Fattah Abu Al-Ma'al. (1988). Children's Literature (Volume 2). Amman, Jordan: Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution. Ammar Halim Hamid. (January 1, 2021). Musical and Artistic Characteristics of the Children's Song of the Kury. Kirkuk University Journal of Humanities, 1(1), p. 707.

Makram Muhammad Ibn Manzur. (1999). Lisan al-Arab (Vol. 1). (A. Al-Salam, editor). Beirut, Lebanon: Dar Sadir.

Nyan Namiq Sabir. (July 2008). The Role of Kindergartens in the School Adjustment of First-Grade Primary School Students. Kirkuk University Journal of Humanities, 3(2), 2-20.

Hadi Numan Al-Hiti. (1977). Children's Literature: Its Philosophy, Arts, and Media (Vol. 1). (The Second Thousand Books, editor). Baghdad, Iraq: House of Cultural Affairs in Iraq.